***مداخلة أد. نبيل السملوطي***

***العميد الأسبق لكلية الدراسات الإنسانية***

***بجامعة الأزهر- مصر***

شكرا د.إسماعيل بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله ابتداء تحية تقدير وإعزاز، والشكر لهذه الجامعة الموقرة التي جئنا إليها للمرة الثانية، وكعادتها معنا في كرم الضيافة والوفاء، وفي العلم والمعرفة فشكرا للأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال و شكرا للأخ العزيز إسماعيل سامعي والعمداء والأساتذة والإداريين في هذه الجامعة وشكرا أيضا لرابطة الجامعات الإسلامية ولو أني عضو فيها لكن الشكر واجب لأنها تجوب العالم الإسلامي كله بحثا عن الأفضل وبحثا عن العلم وبحثا عن التنمية و بحثا عن التطبيق الأفضل .

وبالنسبة لهذه الوثيقة أقول ما قلته قبل ربع قرن، إنه في الحقيقة أن قراءة هذه الوثيقة - وأشكركم الأستاذ الدكتور إسماعيل سامعي لأنكم كتبتم فن بناء بداية الدولة للأن فن بناء الدولة هو الأكبر والوثيقة أحد أبعاد فن بناء الدولة - الحقيقة أقول للزملاء منذ ربع قرن كما اسلفت سواء في القاعات الأكاديمية، أو الإعلامية، وفي المؤتمرات : أننا ندرس زيفا لطلابنا و نقول لهم زيفا. فنقول لهم أن فكرة المواطنة، وفكرة الدولة الدستورية، وفكرة الدولة التعاقدية، وفكرة

الدولة التعددية إفراز فكر غربي، وأن الدستور فكر غربي سواء كان إفراز المقناكرطا أو الثورات الإنجليزية، والفرنسية، والأمريكية، أو الأمم المتحدة في وثيقة ديسمبر 1948 نقول لهم أن هذه القضايا الحديثة في فن بناء الدولة إفراز للفكر الغربي، وهذا تزييف للواقع، وأطالب زملائي المشتغلين في علم الاجتماع السياسي و أنا واحد منهم وبالساسة، وبالنظم السياسية ولدستورية، وعلوم السياسة أن يصلحوا هذا، ونحن نزيف فكر الطلبة عندما نعطيهم حقائق غلط حقيقة بالنسبة لهذا القضية ليست فكرة المقنا كرطا هي منبع الدستور، وليست الثورة الفرنسية هي منبع فكرة الدستور، والحرية والإخاء و المساواة، وألخص فأقول :

1 – فكرة الدولة التعاقدية لم تأت من صحيفة المدينة، فعندما فكر الرسول صلى الله عليه و سلم وجد أن مكة لا تصلح لانطلاق الدعوة في الوقت الذي كان فيه وذهب إلى الطائف ثم فكر في بناء الدولة التي تنطلق منها هذه الدعوة، وجاءت فكرة بيعة العقبة في ثلاث جلسات في العام 11، 12 ، 13 من البعثة النبوية وفي هذه البيعة أنجزت فيها بنود، وخصوصا بيعة العقبة الثالثة و التي حضرها 75 منهم امرأتان بالإضافة لما جاء فيها من شروط، وانتخب الحاضرون منهم 12 نقيبا للتفاوض مع الرسول ﷺ باسم المجموعة و قد وقع على هذه البنود الرسول ﷺ و المشاركون في بيعة العقبة، وعندما ذهب الرسول ﷺ إلى المدينة كقائد سياسي بالإضافة إلى أنه نبي مرسل ذهب إليها بعقد اجتماعي رضائي حيث أن الناس ارتضوه، وهذا يعبر عن فكرة الانتخاب، ويدل على ذلك اختيار 12 نقيبا.

إذن عندما ذهب إلى المدينة كان هناك ممثلين لشعب المدينة الذين بايعوا الرسول ﷺ وانتخبوه ليكون رئيسا سياسيا عليهم، فبدأت الدولة بعقد، ولأن فكرة الليبرالية الغربية قائمة على عقد اجتماعي للناس فيه حقوق، ولعصر ما قبل

التجمع، ثم تجمعوا فاختاروا منهم واحدا، وهذه الأفكار هي أفكار جاك روسو وجون لوك وغيرهما جاءوا بها ليبرروا أفكار معينة لم تحدث في الواقع.

إن هذا العقد يعد وهميا، وعقد الرسول ﷺ الذي عقده مع أهل المدينة المنورة في العقبة يعد عقدا اجتماعيا في بنود واضحة، وعندما ذهب إلى المدينة المنورة لم يذهب غازيا ولا فاتحا ولا مستعمرا وإنما ذهب بناء علي طلب أهل المدينة ليحكمهم ويخلصهم من النزاعات المسلحة التي كانت قائمة بينهم

2 – الدولة التي أسسها الرسول ﷺ كانت دولة تعاقدية و هي أول دولة قامت على اختيار الحاكم السياسي الاختياري إلى جانب أنه نبيا مرسلا بحرية كاملة من جانب المواطنين، ونحن نتكلم عن الدولة المدنية التي يختار فيها الناس الحاكم بحرية كاملة، وهو الذي حصل في دولة الرسول ﷺ ولم يفرض عليهم حاكم معين

3 – أول ما أرساه الرسول ﷺ فكرة بناء السلام، و لذلك قال ابن سلام أن الرسولﷺ عندما ذهب إلى المدينة لم يقل لسكانها أعبدوا الله وحده لا شريك له ،إنما أول ما قال لهم أفشوا السلام و أطعموا الطعام وصلوا الأرحام ، وهي القيم الحقيقية التي تحقق الوئام و السلام الاجتماعي و بناء الدولة سياسيا ثم الانطلاق في نشر الدعوة الإسلامية

4 – بناء المؤسسات: فلكي تكون دولة قانون و سيادة قام الرسول ﷺ بتأسيس مسجد قبا الذي لم يكن للصلاة فحسب، باعتبار أن المسجد مؤسسة اقتصادية وعسكرية و سياسية واجتماعية و تربوية و من هنا ففكرة بناء الدولة على المؤسسات انطلق من بناء المؤسسات فكرة اسلامية .

5 – أقام الرسول ﷺ الدولة على فكرة الوفاق الوطني، وفهي فكرة اسلامية وليست غربية فعندما آخى بين المهاجرين والأنصار كتبت شروط معينة لهذه المؤاخاة، ثم مع اليهود وغيرهم.

6 – تأسيس الدولة على فكرة الدستور الذي حدد شكلها و فكرة المقنا كرطا فكرة زائفة والتي توضح بعض القضايا كحقوق وواجبات الحاكم والمحكومين، وحق المراقبة – "إن رأيتموني علي حق فأعينوني"–و" وليت عليكم " أي انتم الذين وليتموني، وهو ما يسمي بالانتخاب -أو الاختيار أي سن الرقابة الشعبية ,

7 – الدولة الاسلامية لا تقتصر على المسلمين، وبالتالي فهي فكرة لإرساء التعددية قال تعالى:" **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**"[1]، وبالتالي ففكرة التعددية إرادة إلهية، وفي المدينة أسست الدولة التعددية مهاجرين و أنصار و يهود و قبائل مختلفة و ديانات مختلفة .

8 – الدولة كانت مفتوحة فقد ضمت المهاجرين و الأنصار واليهود ومن تبعهم و لحق بهم يكونون أمة واحدة بشرط الموافقة على هذا الدستور .

9 – فكرة المواطنة الذي هو تصور له أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية ووطنية أي أن كل الذين يعيشون في هذه الدولة بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية و الدينية و المذهبية و الفكرية لهم نفس الحقوق، وعليهم نفس الواجبات، وفكرة المواطنة ليست إفراز غربي أبدا بل هذه القضية كانت موجودة في فن بناء الدولة التي أرصي أسسها الرسول ﷺ، فهي تجسد البعد عن التمييز وتحترم حرية الجمع، والرسول ﷺ لم يجبر أحد على اعتناق أي شيء قال تعالى : **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** "[2]

10 –قامت الدولة على مفهوم العدالة، فالعدالة في الاسلام عدالة مع لأقربين، وذوي الأرحام، وعدالة مع الأخرين حتى الكفار قال تعالى :" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ**

---

[1]- **هود** ، 118.

[2]- **الكافرون**، 6.

**يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[1] .**

11- الدمقراطية : فكرة الدمقراطية ليست افراز غربي بل هي فكرة لصورة منضبطة بضوابط الوحي، و الرسول ﷺ طبق هذه الصورة في أحلك المواقف، في بدر، وفي أحد، وفي غزوة الأحزاب، وفكرة الديمقراطية تعني أخذ رأي الناس و النزول عند رغباتهم.

12 – فكرة الأغلبية والأقلية: ففي الاسلام لا توجد فكرة دكتاتورية الأغلبية، ومع أن الأغلبية في المدينة كانت من المسلمين فلم تحصل هذه الدكتاتورية .

13 – فكرة التكافل لاجتماعي وهو التعاون على ردع المعتدين، والخائنين، والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين، وحماية أفراد المجتمع .

14- إرساء مبدأ المسؤولية الكلية، والاستقلال المالي، والاقتصادي، والتعاون، وعقد الأحلاف، وتوفير حق الأمن و السلام، بالإضافة إلى المبادئ العامة التي حددها الدستور.

**نقل وتصحيح أد. إسماعيل سامعي**

[1] - **المائدة**، 2.